أبو الفضل ابن النحوى

هو يوسف بن محمد بن يوسف أبو أبو الفضل عرف بابن النحوى. مولده بتوزر فى حدود سنة٤٣٤هـ / ١٠٤٢ م، وكانت توزر فى عصر ابن النحوى بها أعلام أمثال عبد الله بن محمد الشقراطسى الذى كان إمامًا فى الحديث والعربية والفقه، أديبًا شاعرًا، وهو من شيوخ ابن النحوى، ثم رحل أبو الفضل إلى صفاقس للأخذ عن شيخ فقهاء عصره الشيخ أبى الحسن اللخمى فقرأ عليه كتاب "التبصرة" وروى عنه صحيح البخارى.

قال ابن الأبار: أخذ "صحيح البخارى" عن اللخمى، ولما جاء سأله اللخمى ما جاء بك؟ فقال: جئت لنسخ تبصرتك، فقال له: تريد أن تحملنى فى كفّك للمغرب! وكلامًا هذا معناه مشيرًا إلى أن علمه كله فى هذا الكتاب.

وأخذ عن الإمام المازرى فقرأعليه أصول الفقه، وعلم الكلام، وكان المازرى إمامًا مبرزًا فيهما. فى هذا الجو العلمى تنفس ابن النحوى، وتأثر به، فكان مثل شيخه اللخمى مائلاً إلى الاجتهاد فى الفقه، متمكّنًا من الأصلين: أصول الدين، وأصول الفقه مثل الامام المازرى، شاعرًا أديبًا لغويًا مثل شيخه الشقراطسى، وإذا كانت تونس قبيل ذلك العصر نبتت فيها طلائع متأثرة بتعاليم شيخ أهل السنة أبى الحسن الأشعرى فى علم الكلام مع العناية بأصول الفقه، وميل بعض فقهائها إلى الاجتهاد المذهبى، فإن الطابع الغالب لدى فقهاء المغربين الأوسط والأقصى فى عهد المرابطين هو النفور من علم الكلام، وأصول الفقه، ولقد لقى ابن النحوى المتاعب والمقاومة من الفقهاء والرؤساء زمن استقراره بالمغرب الأقصى عندما أقرأ علم الكلام، وعلم أصول الفقه.

وبعد أن استكمل أبو الفضل رحلته العلمية رجع إلى بلده توزر ثم بارحها فى ظروف غامضة لظلم الوالى له، ولبث متجولاً بين مدن الجزائر والمغرب الأقصى مدرسًا للنحو، والفقه، والأصول وعلم الكلام، سالكًا طريق الزهد والتقشف،

ففى الجزائرأخذ عنه النحو عبد الملك بن سليمان التاهرتى. وفى فاس أقرأ "اللمع" فى أصول الفقه لأبى إسحاق الشيرازى. ودرّس علم الكلام وذلك سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م.

قال أبو العباس الغبرينى فى «عنوان الدراية»: كان من العلماء العاملين وعلى سنن الصالحين، مجاب الدعوة حاضرًا مع الله فى غالب أمره، له اعتقاد تام بإحياء الغزالي. دخل قاضى الجماعة يومًا فى الجامع وهو يقرر للطلبة علم الكلام، فسأل القاضى عن الحلقة، فأخبر، فأمر بإبطال الدرس، فقال أبو الفضل: كما تسبب فى إهانة العلم فأرنا فيه العلامة، وخرج فتبعه ولدالقاضى، وله اعتقاد فى أبى الفضل فقال له: ارجع لوالدك لتواريه، فرجع فوجد أباه قتل صبرًا، قتله بعض أعدائه. ويذكر أن أبا الفضل ما دعا قط إلاّ استجيب له.

وقال القاضى أبوعبدالله بن على بن حماد: كان أبو الفضل ببلادنا كالغزالى فى العراق علمًا وعملاً. وقال عياض: أخذ هو والمازرى عن اللخمى، وكان من أهل العلم والفضل، شديد الخوف من الله، غالب حاله الحضور معه تعالى، لا يقبل من أحد شيئًا إنما يأكل مما يأتيه من توزر.

وكان يصلّى فيكثر رفع الصوت وحدث أن كان فى داره لغط ذات مرة، فقال ضيف عنده لابنه: لما تشغلون خاطرالشيخ؟ فقال: إذا دخل فى الصلاة لم يشعر بذلك، ثم أدنى السراج من عينيه، فما شعر لحضوره مع ربّه وغيبته عن غيره.

وأقرأ بسجلماسة "الأصلين" فقال ابن بسّام أحد رؤساء البلد: يريد هذا أن يُدخل علينا علومًا لا نتعارفها فأمر بطرده من المسجد، فقال: أمتّ العلم أماتك الله هنا، فجلس ثانى اليوم لعقد نكاح سحرًا فقتلته صنهاجة، وجرى له مثله بفاس مع قاضيها ابن دبوس، فدعا عليه فأصابته أكلة فى رأسه فوصلت لحلقه فمات، وقطع ليلة خروجه فى صبحها بسجدة قائلاً فيها: اللهمّ عليك بابن دبوس. فأصبح ميّتًا.

ويبدو أن أبا الفضل كان متأثرًا بتعاليم الإمام الغزالى الصوفية المُقَيَّدة بالكتاب والسنة، ومعجبًا به غاية الإعجاب، ولما أفتى ابن حمدين قاضى قرطبة بحرق كتاب

«إحياء علوم الدين» للغزالى وتابعه على فتواه طائفة من الفقهاء الرسميين بالأندلس والمغرب الأقصى، وانصاع أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين المرابطى لرأى الفقهاء فأصدر أمره بجمع نسخ الإحياء وبإحراقها وتحليف الناس الأيمان المغلظة أن ليس لديهم «الإحياء» كتب إليه ابن النحوى معارضًا لفتوى ابن حمدين ومنتصرًا للغزالى ومفتيًا بعدم لزوم تلك الأيمان، وكان ابن النحوى قد انتسخ كتاب الإحياء فى ثلاثين جزءًا ليقرأ منه جزءًا فى كل يوم من أيام رمضان ويقول: «وددت أنى لم أنظر فى عمرى سوى هذا الكتاب».

وكان إذا تأخر ما يأتيه من بلده دعا بدعاء الخضر: اللهمّ كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء الخ... فيفرج عنه.

وشكى إليه بعض أهله الضيق من فراره من ظالم بلده ورغبه فى رفع الأمر للظالم ليأذن له بالرجوع، فقال: سأفعل، وتضرع لله تعالى فى تهجّده، فقال:

لبستُ ثوب الرّجا والناسُ قد رقدوا ... وقمتُ أشكو إلى مولاى ما أجدُ
وقلتُ يا سيدى يا منتهى أملى ... يا مَن عليه بكشف الضّرِّ أعتمدُ
أشكو إليك أمورًا أنتَ تعلمُها ... مالى على حَملِها صبرٌ ولا جَلَدُ
وقد مددتُ يدى للضُّرِّ مشتكيًا ... إليك يا خيرُ مَن مُدّت إليه يدُ

ونظم «منفرجته» وأعاد أهله السؤال، فقال: بَلغ الأمر أهله، وسترى فعن يسير ورد الكتاب من توزر بالتلطف للشيخ، ورغبته أن يرجع فقال للسائل: قُضيت الحاجة، ورأى الباغى فى نومه فارسًا يحمل عليه بيده حربة من نار فتنبّه مذعورًا ويتعوّذ ثم ينام ويعاوده إلى أن قال: إنما يتعوذ من الشيطان، وأنا ملك ومالك للعبد الصالح.

قال الشيخ أبو القاسم ابن الملجوم الفاسى: ورد أبو الفضل فاسًا فلزمه أبى وحفظ «لُمع» الشيرازى عام أربعة وتسعين وأربع مائة، وسافر منها للقلعة فأخذ نفسه بالتقشف، ولبس خشن الصوف، وكانت جبّته إلى ركبته، فمرّ يومًا بالفقيه أبى عبد الله بن عصمة المفتى فلم يُسلم عليه لشغل باله، فعظم عليه، فلمّا رجع ناداه محقرًا: يا يوسف! فجاءه فقال له: يا توزرى صفرت وجهك، ورققت

ساقيك، وصرت تمر ولا تسلم، فاعتذر فلم يقبل وأغلظ له فى القول، فقال: غفر الله لك يافقيه يا أبا محمّد فانصرف. وكان مجاب الدعوة حتى يقال: نعوذ بالله من دعوة ابن النحوى. وحصلت له المزّية فى الفقه والنظر.

وأخذ عنه جماعة من الأئمة الأعلام النظار كالفقيه أبى عبد الله محمد بن الرمامة مفتى فاس، والأخوين الفقيهين أبى بكر ومحمد ابن مخلوف بن خلف الله، والفقيه أبى عمران موسى بن حمّاد الصنهاجى.

قال الحافظ الزاهد أبو الحسن بن حرزهم: أوصانى أبى أن أقبّل يد أبى الفضل متى لقيته، ولو لقيته فى اليوم مائة مرة، فبعثنى إليه يوما ليد عو لى، فأتيته عند الغروب فأذّن وأقام وصلّيت معه، فلما أراد أن يكبّر نظرت لثوبه على كتفه يتحرّك حركة شديدة يسمع صوته من شدة الخوف، فلمّا سلّم دعا لى فانصرفت لأبى، وقلت له: رأيته صلّى قبل وقت صلاة أهل البلد فقال لى: أتتكلّم فى ولى الله، وهل وقت المغرب إلاّ الذى صلى فيه، وإنما ابتدعوا التأخير عنه، ثم قال لأمى هذا صبى نرجو أن ينفع الله به فإنى وجدت بركة أبى الفضل، ولقد دخل وعليه نور فعلمت إجابة دعوته فيه. فكان كذلك.

ومن كريم خلقه أن شابًا من الطلبة بادر السلام عليه فأراق الحبر على ثوبه، وكان أبيض فخجل فقال الشيخ: كنت أقول أى لون أصبغ ثوبى فالآن أصبغه حبريًا وبعث به للصباغ.

وفى «جذوة الاقتباس» كان أبو الفضل من أهل العلم والعمل، وكان ممّن انتصر لعدم إحراق «الإحياء» للغزالى، وكتب على بن يوسف إلى مدينة فاس بالتحرج على النّاس فى كتاب «الإحياء». وأن يحلّف الناس بالأيمان المغلظة أن الإحياء ليس عندهم، قال أبو الحسن بن حرزهم: لما وقع هذا ذهبت إلى أبى الفضل أستفتيه فى تلك الأيمان فأفتانى بأنها لا تلزم، وكانت على محمله أسفار، فقال لى: هى من الإحياء، ووددت أنى لا أنظر فى عمرى سواها، قال ابن الرمامة، وأنشدنى أبو الفضل:

أصبحتُ فيمَن له دينٌ بلا أدبٍ ... ومَن له أدبٌ عارٍ من الدّين

وقت غدوتُ لفقدِ الشكل منفردًا ... كبيتِ حسّانَ فى ديوان سَحْنُونِ

أشار فى العجز الأخير إلى بيت "حسّان بن ثابت" فى باب الجهاد من المدوَّنة وهو البيت الوحيد فيها!!:

وهـان عـلى سَـراة بـنى لُـؤى حـريقٌ بـالـبُـوَيـرة مـسـتـطـيـرُ

وقال أبو الفضل فى حجّة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى:

أبو حـامـد أحـيـا من الـدين عـلمهُ وجـدّد مـنه مـا تـقـادم من عـهـد
ووفّـقه الـرحـمـانُ فـيـمـا آتى به وألـهـمه فى مـا أراد إلى الـرّشـد
فـفصّـلها تـفـصـيـلـهـا فـأتى بـهـا فجاءت كأمثال النجوم التى تهدى

وكان ابن النحوى هدفًا للابتلاءات الكثيرة، ولقى من أهل فاس أمورًا يطول ذكرها، ومن نظمه فى مدينة فاس:

يا فاسُ منك جميعُ الحُسنِ مُسترقُ وسـاكـنُـوكِ أهـنّـيـهم بمـا رُزقُـوا
هـذا نـسـيـمُكِ أم رَوحٌ لـراحَـتِـنَـا وماؤك السلسل الصّافى أم الوَرِقُ
أرض تـخـلّـلـهـا الأنـهـار داخِـلُـهـا حتّى المجالسُ والأسواقُ والطّرُقُ

وله أبيات يتشوق فيها إلى مصر:

أين مـصـر، وأين سـكّـان مـصـر! بـيـنـنـا شُـقّـة الـنوى والـبـعـادِ
حـدّثـانى عن نـيل مـصـر، فـإنّى مـنـذ فـارقـته إلى الماء صـاد
والـريـاض الـتى عـلى جـانـبـيه واجـعـلاه من الأحـاديث زادى
رقّ قـلـبى حـتى لـقـد خِـلتُ أنّى بين أيـدى الـزُوّار والـعُـوّاد
مـا تـرانى أبـكى عـلى كلّ رَبْع مـا تـرانى أهـيـمُ فى كلّ واد!
رَوشنٌ من رواشن الـنـيل خـيـرٌ -بـعـدُ- من دجـلـةٍ ومن بـغـداد
إنّ مـصـرًا لـهـا مـعـانٍ، لـعَـمرى قـد تـآبّت عـلى جـمـيع الـبلاد
هـذه الأرض إنّـمـا هى نـادٍ مـصـرُ من بـيـنـهـا سـراجُ الـنـادى

اتّفقت كلمة من ترجمه من العلماء على أنه كان من أهل الورع الكامل ومن العلماء العاملين، وسيرته على سنن الصالحين، بارعًا فى أصول الدين والفقه، يميل إلى النظر والاجتهاد مع النزاهة التامة والخوف الشديد من الله تعالى، لا يقبل من أحد شيئًا وإنما كان يعيش مما يأتيه من ايراد ضيعة

له بتوزر، ومن نظمه فى المعنى:

عطاء ذى العرش خير من عطائكم ... وسَيبُهُ واسع يرجى ويُنتَظَرُ
أنتم يكدّر ما تعطون مَنُّكُمُ ... والله يعطى ولا مَنَّ ولا كدرُ
لا حكم إلاَّ لمن تمضى مشيئته ... وفى يديه على ما شاءه القدر

وتروى عنه حكايات ومناقب تدل على علوّ مرتبته فى العلم والتقوى والصلاح، وتحول أبو الفضل من المغرب الأقصى سنة ٤٩٤ هـ إلى المغرب الأوسط، وتجوّل فى أنحائه، وكأنه أقام برهة فى مدينة تاهرت وأقرأ فيها النحو، ثم استقر فى قلعة بنى حماد، وكانت إذ ذاك قد عمرها أمراء بنى حماد الصنهاجيين، فازدهرت بالعلوم والآداب وقصدها ذوو الغايات من جميع الجهات.

واستوطن أبو الفضل القلعة على رأس القرن السادس وأقرأ فى جامعها علم الكلام والأصول. ويظهر أنه كان يتردد من هناك على مسقط رأسه توزر لزيارة أهله بها، فكان ينزل فى دراهم وهى المعروفة الآن باسم خلوة أبى الفضل، وهى قريبة من جامع توزر العتيق، وقد زارها العياشى حين مروره إلى الحج فى عام ١٠٥٧هـ كما ذكر فى رحلته.

ومن القلعة عزم أبو الفضل على التوجه إلى الحجاز لأداء الفريضة، قيل: إنه لما أراد السفر كتب إليه أهله من توزر: لمن تتركنا، فراجعهم ببطاقة كتب فيها:

إن الذى وجّهت وجهى له ... هو الذى خلّفت فى أهلى
لأنّه أرفق منّى بهم ... وفضله أوسع من فضلى

وعند عودته إلى القلعة من سفرته هذه ألمت به كارثة من بعض الولاة الجائرين فنظم قصيدته «المنفرجة» توجّه بها إلى البارى تعالى، قال ابن الشباط: «كان منشيها- رحمه الله -أنشأها عند شدة نالته فأقشعتها بفضل الله للحين وزالت وعادت الحالة إلى أحسن ما كانت عليه وآلت، فهى لهذه المزّية من أوثق العدة، وأوفق أسباب الشدّة».

وكانت وفاته بقلعة بنى حمّاد سنة ٥١٢ هـ / ١١١٩م، وقبره مشهور بها، أقيم عليه فى العصور التالية قبّة جميلة على أنقاض تلك المدينة المهجورة التى لم يبق

منها سوى بعض الرسوم الصنهاجية الدوارس وهذا الضّريح الذى يعرفه أهل الجهة باسم «سيدى أبى الفضل».

شروحها:

لاقت المنفرجة اهتماما كبيرًا من العلماء والدارسين الأمر الذى جعل لها شروحًا كثيرة، نذكر منها:

١- شرح الفقيه الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن النقاوسى البجائى. المتوفى سنة ٨١٠ هـ / ١٤٠٧م. وشرحه هذا من أشهر الشروح وأبسطها، وهو متداول، وقد أسماه «الأنوار المنبلجة فى بسط أسرار المنفرجة» وأوله: الحمد لله الذى تفرد بالبقاء والقدم المبدئ القادر الذى برأ النسم ....الخ قدم فى أوله تعريفين الأول فى ترجمة الشيخ الناظم، والثانى فى بيان القصيدة.

٢ ـ شرح الإمام الشّيخ أبو عبد الله محمد بن عمر الهوارى الوهرانى المتوفى سنة ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩م دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ١٩٤٦٢ .

٣ ـ شرح العالم الصوفى الإمام أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو المتوفى سنة ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م.

٤ ـ شرح الشيخ يحيى بن زكرياء المقرى المتوفى سنة ٨٤٧ هـ/ ١٤٤٣م. سماه "فتح مفرج الكرب".

٥ ـ شرح الفقيه الشيخ إبراهيم الزواوى القسنطينى المتوفى سنة ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣م.

٦ ـ شرح الفقيه الجزائرى الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الثعالبى المتوفى سنة ٨٧٥ هـ/ ١٤٧٠م.

٧ ـ شرح الفقيه الدمشقى الشيخ عبد الرحمن بن العينى المتوفى سنة ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨م.

٨ ـ شرح الشيخ محمد بن محمد الدلجى، شارح الشفاء، المتوفى سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤٠م

وسماه "اللوامع البهجة بأسرار المنفرجة"، وأوله: نحمدك يا من شرح صدرونا بانفراج الكربات الخ. وضعه بمكة المكرمة عام ٨٩٤ هـ/ ١٤٨٨م، وهو بدار الكتب المصرية وبعض صفحاته سيئة.

٩ ـ شرح الشيخ الزاهد عبد الرحمن بن حسن المقابرى الشافعى، وسماه "الأنوار البهجة فى ظهور كنوز المنفرجة".

١٠ـ شرح الفقيه العالم الشيخ أبو الفضل محمد بن أحمد بن أيوب الدمشقى الشافعى، المتوفى سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م، سمّاه "التحفة البهجة فى تضمين المنفرجة". زاد بيتًا فى كل ما بين المصرعين.

١١ـ شرح الفقيه الشافعى الشيخ علاء الدين على بن يوسف العاتكى الشهير بالبصروى الدمشقى، المتوفى سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م، سمّاه "السريرة المنزعجة لشرح القصيدة المنفرجة". فى مكتبة المدرسة العليا بالرباط، والمخطوطة تحمل رقم ٩٠ د و١/ ٥٣٠ د، ومنه أخرى فى غيرها من المكتبات[١]:

ـ تونس: دار الكتب الوطنية، مكتبة حسن حسنى عبد الوهاب رقم ١٨١١٧.

ـ تونس: دار الكتب الوطنية، رقم ٢٨ / ٦٧٢.

ـ القاهرة: دار الكتب المصرية، رقم ١١٢ فوائد مكتبة الأسكندرية م/ ٥٢١. ف/ ١٣٩، ومنها نسخة بمكتبة الأزهر الشريف.

ـ باريس: المكتبة الوطنية، رقم ٢/ ٤١١٨.

ـ مدريد: مكتبة الأسكوريال، رقم ٢/ ٥٢٠.

ـ أسطنبول: كوبرلى، رقم٤/ ١٣٠٤ وهو كتابنا هذا.

١٢ـ شرح الفقيه الشيخ أبو الفضل محمد بن خليل البصروى الشافعى، أتمه فى شوال سنة٨٩٠ هـ/ ١٤٨٥م.

١٣ـ شرح الفقيه المالكى الشيخ محمد بن غازى العثمانى المكناسى، المتوفى سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م.

١٤ـ شرح الشيخ عبيد الله بن محمد بن يعقوب المتوفى سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م.

١ـ حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العمر، ٢/ ٤٧١ ونشرة بوذينة: ٣٠.

١٥. شرح الفقيه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الخلوتى الكردى المتوفى سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م، وسمّاه: «المنعرجة فى شرح المنفرجة» (المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٥٢٤١ و٩٨٤٨).

١٦. شرح شيخ الاسلام الفقيه زكرياء الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، أسماه «الأضواء البهجة فى إبراز دقائق المنفرجة» لخّصه من شرح الشيخ النقاوسى، طبع بمصر سنة ١٣٣٢هـ مع شرح آخر اسمه «المنعرجة على القصيدة المنفرجة» من وضع الشيخ عبد الله بن عبد العزيز أحد علماء مكة المكرمة.

١٧. شرح المتصوف المغربى الفقيه يوسف أبو المحاسن المتوفى سنة ١٠١٣ هـ/ ١٦٠٤م.

١٨. وشرحها بالتركية القاضى عبد الله بن خير الدين البرغموى الرومى الحنفى، المتوفى سنة ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م.

١٩. كما شرحها بالتركية الشيخ إسماعيل بن أحمد الأنقروى المولوى المتوفى سنة ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٣م، وسمّاه «الحكم المندرجة فى شرح المنفرجة» وفرغ منه فى رمضان سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣١م، وطبع بمصر سنة ١٣٢٣هـ.

٢٠. شرح الفقيه الشيخ مصطفى ابن القاضى محمود المناسترى، أتمه سنة ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م، (مكتبة كوبرلى أسطنبول رقم ٢/ ١٦٠٧).

٢١. شرح الفقيه المالكى المغربى الشيخ الحسن اليوسى المتوفى سنة ١١٠٢هـ/ ١٦٩١م.

٢٢. شرح العالم الجزائرى الشيخ محمد بن أحمد بن قاسم ساسى البونى المتوفى سنة ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م.

٢٣. شرح الفقية الحنفى الدمشقى الشيخ إسماعيل بن عبد الباقى اليازجى المتوفى سنة ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م، سماه «التعليقة الوفية لشرح المنفرجة الجيميّة» (دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٢/ ٣٢٤ مجاميع).

٢٤. شرح الفقيه النحوى المصرى الشيخ أحمد الأسقاطى المتوفى سنة ١١٥٩هـ/

١٧٤٦م.

٢٥. شرح العالم الدمشقى الشيخ مصطفى البكرى الصديقى المتوفى سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٥١م، وسمّاه «الابتهالات السامية».

٢٦. شرح الفقيه الشيخ شمس الدين محمد السفارينى المتوفى بدمشق سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م.

٢٧. شرح العالم المغربى الشيخ أحمد بن محمد بن المهدى المعروف بابن عجينة المتوفى سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م.

٢٨. شرح العالم الدمشقى الشيخ أحمد بن عابدين المتوفى سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٩م.

٢٩. شرح الفقيه الشافعى الشيخ أحمد الحلوانى الدمشقى المتوفى سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.

٣٠. شرح الفقيه الجزائرى الشيخ القاسم الشريف الخيرانى المتوفى سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.

٣١. شرح العالم النحوى الإمام عبد الحميد الشرقاوى من علماء مصر المتوفى سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م.

٣٢. شرح الفقيه المالكى المغربى الشيخ أبو على حسين الافرانى، المتوفى سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١٠م.

٣٣. شرح الفقيه الشيخ أبو العباس أحمد الكتانى من علماء القرويين المتوفى سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م.

٣٤. وشرح المنعرجة على المنفرجة للشيخ عبد الله عبد العزيز الصوفى أحد علماء مكة المكرمة، وطبع بمصر ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م.

٣٥. وآخر شراحها كان الإمام حسنين مخلوف (١٨٩٠/ ١٩٩٠م) مفتى الديار المصرية، والمسمى (شرح الصدور الحرجة فى شرح المنفرجة) وهو مطبوع بالقاهرة عدة طبعات.

هذا ويوجد مخطوطات كثيرة ومتعدّدة للمنفرجة وشروحها فى العديد من

مكتبات العالم. ينظر بروكلمان معرّب ٥ : ١١٠-١١١ ويضاف إلى ما أشار إليه بروكلمان:

- تونس: دار الكتب الوطنية رقم ٢/ ٦٨٨، ٦/ ٢٧٥٩، ٤٦٨٨، ٧/ ٨٤٤١.
- القاهرة: دار الكتب المصرية رقم ١١ - ١٢ فوائد و٣٤٤٣ج، ٣٤٩٠ج، ١٢٢٥٣ز، ٢١٥٦١ز. ويراجع فهرس الكتب العربية فى دار الكتب المصرية ٣:١٤ و٧:٩٠ - ٧١.
- مكة المكرمة: مكتبة الحرم المكى رقم ١٠٨.
- دمشق: المكتبة الظاهرية رقم ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٥٢٠، ٥٨٥٨.

obeikandl.com

obeikandl.com

معارضاتها[١]

للقصيدة معارضات كثيرة، فممن عارضها:

١. الفقيه الشيخ أبو العباس أحمد بن رستم بن كيلان شاه، الديلمى الأصل، الدمشقى المولد، المولود سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م والمتوفى سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م. وأولها:

اشتدّى أزمة تنفرجى ... فالضّيق ينوط بالفَرَجِ
والصَّبرُ يؤول إلى يُسْرِ ... والرُّوحُ تراحُ من الحَرَجِ

٢. الفقيه الصوفى الأديب علاء الدين بن إسماعيل بن يوسف القونوى، التبريزى، المولود سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م، والمتوفى سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م، يقول فى أوّلها:

يا بعيدَ الفَهم للحُجَجِ ... وقريب الشّبه للهَمَجِ
لا تبت للخوف من بشر ... ربَّ صدر ضيّق فى حَرَجِ
تحسب الأشياء من حمق ... بإرادات الأنام تجى
كلّ خلق الله لو طلبوا ... منك ما لم يقض لم يرج
فاستقم واضرع لربّك فى ... دفع ما تخشى من الحرج
وارج من ألطافه فرجا ... فهو المرجو لكلّ فرج

٣. الفقيه الإمام الشيخ مصطفى بن كمال الدين بن على البكرى الدمشقى، الخلوتى، الشهير بالقطب البكرى (قطب الدين) المولود سنة ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م. والمتوفى سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م، أسماها «القصيدة المنبهجة» وأولها:

قُم نحو حماه وابتَهج ... وعلى ذاك المحَيَّا فَعج
ودع الأكوان وقُم نَمسَقًا ... واصدق فى الشّوق وفى اللّهج

---

١. المعارضة: هى أن ينظم شاعر قصيدة على وزن وروى قصيدة شاعر آخر، وقد عرف الأندلسيون بمعارضتهم للشعر المشرقى. انظر: معجم النقد العربى القديم: ٣٠٥. ومن أمثلة معرضة هذه القصيدة قول أحدهم:

يارب ترفق بالمهج ... وتوخَّ بها سُبُل الفرج

والـزم بـاب الأسـتـاذ تَـفُـزْ وتـكـون بـذلك خلّ نجى
واخـرج عن كلّ هـوًى أبـدًا ودع الـتـلـفـيق مع الـتـهَـرّج
إيـاك أخى تـرافق مَن لم يـنـهك عن طـرق الـعـوج
اقـنع وازهـد واتـركه كـذا ك بـبـاب سـواه لا تـلج

٤. شيخ الطريقة النقشبندية بهاء الدين خالد النقشبندى، المولود سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، والمتوفى سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٤٢م، ومطلعها:

أنـوار تجـلّـيه الأرَج لمـعَت فـارمـقـهـا وابـتـهج
وأعـد الـقـلـب لـرؤيـته بـدوام الـذكـر وأنت شـجى

٥. الشاعر محمود بيرم التونسى، المولود سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، والمتوفى سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٢م. عارض قصيدة ابن النحوى بقصيدة على نفس الوزن والروى، ملؤها النقد اللاذع لإحدى الظواهر الاجتماعية فى مصر، وأوّلها:

يـا صـاح وحـقّك لـيس عـلى مَن رام المـرقص مِن حَـرَجِ
جـمـعـوا الـنـسوان مع الـفتيا ن فـيـا للأمـر المُـنـبـهِجِ
مـا كـاد مُـغـنّى الـقـوم يـدقّ الـدفّ بِـلـحن مـنه شـجى
حـتّى انـفـرطت وحـداتـهُـمُو ثم ازْدَوَجَتْ بـالمُـزْدَوِجِ

٦. الشاعر التونسى المعاصر الدكتور جعفر ماجد، المولود بالقيروان فى ٢٧ مارس ١٩٤٠، أسماها «مرثية الشّعر» يقول فى أوّلها:

يـا ربّ تـرفّق بـالمُـهَج وتَـوَخَّ بـهـا سُـبُلَ الـفَـرَجِ
واجـعل مِن لـطـفك نـاحـيـةً تَـتَـفَـيَّـؤُهـا عـنـد الـوَهَجِ

تخاميسها[١]

وللقصيدة تخميسات كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال تخميس:

١. الفقيه الشيخ عبد الله بن نعيم الحضرمى، القرطبى الأصل، التونسى المولد، المتوفى سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م، أورده أبو العباس الغبرينى كاملاً فى كتابه «عنوان الدراية» يقول فى أوله:

لا بـدّ لـضـيق من فـرج والـصّبـر مـطيّـة كلّ شـجى
وبـدعـوة أحـمـد فـابـتـهـجى "إشـتـدّى أزمـة تـنـفـرجى"
"قـد آذن لـيـلكِ بـالـبـلـج"

٢. الفقيه الأديب محمد بن حبيش المُرسي. نزيل تونس، المتوفى سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م، سمّاه: «العرابة المرضية فى تخميس القصيدة النحوية».

٣. العلامة ابن الشباط التوزرى المتوفى سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٢م، سمّاه: «عجالة الروية فى تمسيط القصيدة النحوية»، ذكره العبدرى فى رحلته، ويوجد ضمن مجموعة قصائد فى المتحف البريطانى رقم ١٣٩٣ وأوله:

يـا مَن يـشـكـو ألم الحـرج ويـرى عُـسـرًا قـرب الـفـرج
ابـشـر بـشَـذَى فـرج أرج «إشـتـدّى أزمـة تـنـفـرجى»
"قـد آذن لـيـلكِ بـالـبـلـج"

---

١. التخميس: أن يعمد الشاعر إلى إضافة ثلاثة أشطر إلى بيت لشاعر آخر، يقدُم هذه الأشطر على البيت المضمَّن، ويتفق الروى فى كل من الأشطر الثلاثة مع روى صدر البيت أو عجزه، ومن أمثلة ذلك، تخميس البيت الأول من هذه القصيدة (المنفرجة):

إشتدى أزمة تنفرجى قد آذن ليلك بالبلج

فيكون تخميسها كالتالى:

يا من يشكو ألم الحرج ويرى عسرا قرب الفرج
أبشر بشذا فرج أرج "إشتدى أزمة تنفرجى"
"قد آذن ليلك بالبلج"

لمزيد من التفصيل انظر: معجم مصطلحات العروض والقافية: ٥٤.

٤. الأديب الشاعر الشيخ عمر بن عيسى بن نصر القوصى القرشى المتوفى سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م. وأوله:

صبرًا يا نفس على الحرج فلسكم لإلهك من فرج
قولى برضا كالمبتهج «إشتدّى أزمة تنفرجى»
"قد آذن ليلكِ بالبلج"

٥. الفقيه تقى الدين عبد الله بن محمد الصائغ الحنفى، المتوفى سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م. وأوله:

اصبر فالصبر أخو الفرج وارقب نفحات الربّ تجى
واسمع قولاً فى ذاك شجى "إشتدّى أزمة تنفرجى"
"قد آذن ليلكِ بالبلج"

٦. الأديب الشاعر الشيخ أحمد بن سليمان العيدروس اليمنى المتوفى سنة ٨٨٢ هـ/ ١٤٦٧م، وأوله:

درّج أيامك تندرج وبوبوق الهم فلا تلج
واصبر لابدّ من الفرج "إشتدّى أزمة تنفرجى"
"قد آذن ليلكِ بالبلج"

٧. الفقيه الواعظ الشيخ علاء الدين على بن محمد المصرى المتوفى سنة ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م، وأوله:

حمدًا لِله مدى الحجج لشروح الأنفس والمهج
ناديت بقلب مختلج "إشتدّى أزمة تنفرجى"
"قد آذن ليلكِ بالبلج"

٨. الفقيه الصوفى الشيخ محمد الصغيّر داود، المتوفى سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م، نظمه حين اشتدّ الألم بصدره، فخمّسها فشفى.

٩. كما خمّسها الشيخ سلام بن عمر بن بركات بن جلال المزاحى القادرى الجندى، صاحب مخطوط "اللآلى المبهرجة فى تخميس المنفرجة" ضمنه تخميسات لعدد من شعراء اليمن ومصر وغيرهم (مخطوطة بمكتبة الدولة

obeikandl.com

ببرلين رقم٧٦٤٢). ومنه نسخة غير منسوبة فى دار الكتب بالمنصورة بمصر (مجلة معهد المخطوطات ٤:٢٨٨)، وفى دار الكتب المصرية مجموع به عدة تخميسات للمنفرجة رقم ١١٢ فوائد.

وهناك تخميسات أخرى نذكرها فى ملحق الكتاب -إن شاء الله تعالى- نقلا عن نشرة بوذينه.

•••

obeikandl.com

المخطوط

شرح المنفرجة للبصروى - الذى بين أيدينا - له أكثر من نسخة، وهى فى حقيقتها نسخة واحدة صوِّرت عنها نسخ أخرى أو نسخت منها عدة نسخ.... وقد اعتمدت على نسختين من تلك النسخ بعدما أيقنت أنها جميعًا نسخة واحدة.

النسخة الأولى: نسخة بمكتبة الازهر الشريف بمصر، وتقع تحت رقم ٢٢٥٧٠٥ عدد أوراقها (١٦) ورقة، تحمل كل ورقة صفحتين، فى كل صفحة نحو ثنتين وعشرين سطرًا، فى كل سطر نحو ثلاث عشرة كلمة.

كتبت بخط مشرقى جميل، كتبها أبو يعلى البيضاوى، أولها: "بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد. قال الفقير إلى عفو الله ولطفه على بن يوسف البصروى الشافعى كان الله له. الحمد لله فارج الهم واسع الكرم.... وآخرها "تم الكتاب بعون الملك الوهاب يوم الأربعاء المبارك عاشر شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٠٤٠ والحمد لله وحده"[١].

النسخة الثانية: نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس مكتبة حسن حسنى عبد الوهاب رقم (١٨١١٧)، وهى نحو (١٧) ورقة، كتبت بخط مغربى مقروء، خلت من اسم الناسخ وزمنه، وبدايتها" بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله فارج الهم. واسع الكرم.... "ونهايتها" والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم".

١- على غلاف هذه النسخة ضبط الناسخ "البصروى" بفتح الباء، وهو تحريف إذ أن الصواب بضم الباء لا بفتحها.
وهذه النسخة ناقصة إذ سقط منها صفحتان.

عملى فى التحقيق

١. قمت بمقابلة النسخ وذكرت الخلاف بينها ما أمكن.
٢. إعادة كتابة المخطوط، مع وضع علامات الترقيم المختلفة التى تعين القارىء على الفهم الجيد.
٣. ترجمت للأعلام الواردة بالكتاب من كتب التراجم والرجال.
٤. خرَّجت الآيات القرآنية الواردة فى الكتاب وعزوتها إلى سورها ورقم الآية.
٥. خرَّجت الأحاديث النبوية الشريفة من كتب الصحاح وكتب الأحاديث الأخرى.
٦. أرجعت بعض المأثورات الواردة بالكتاب وكذا الأبيات الشعرية إلى مصادرها وأصولها.
٧. وضعت فهارس فنية آخر الكتاب حتى يسهل للباحثين الاطلاع.
٨ صنعت ملحقًا بآخر الكتاب، يضم المعارضات والتخميسات لهذه القصيدة حتى يعرف القارىء النهضة الإبداعية التى واكبت هذه القصيدة، وقد اعتمدت فيه على نشرة بوذينة.

وأخيرًا أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد علوان سالمان
القاهرة فى يوليو ٢٠٠٩

openkandil.com

صورة من الصفحة الأولى لنسخة الأزهر

صورة من الصفحة الأخيرة للمخطوط